الأخبار الدقيقة

فى بدء الخليقة

تاليف وتحقيق الشيخ / بكر محمد ابراهيم
(أبو هيثم)
واعظ ورئيس أنصار السنة - فرع السلام

المكتبة المحمودية
ميدان الازهر الشريف
ت/ ٥١٠٣٠٦٧

رقم الإيداع

٩٩ / ٩٥٧٨

مقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق السموات والأرضين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أشهد أن لا إله إلا الله اله الأولين والآخرين وأشهد أن سيدنا محمداً رسول رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد

فهذا الكتاب يحوى أخبار ماكان فى بدء الخلق ويتحدث عن أول المخلوقات الماء والعرش والكرسى والقلم ثم أخبار خلق السموات والأرض وكل ما ورد فيهما من أخبار قد سقت الدليل عليها من القرآن الكريم والسنة المطهرة وقمت بالشرح والتعليق على بعض الأحاديث من الناحية الشرعية والعلمية والحديثية والتفسير وربطت بين القديم والحديث فى الشرح والتفسير .

وأسأل الله تعالى أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

ماكان فى بدء المخلوقات

خلق القلم

روى الإمام أحمد فى مسنده عن عامر العقيلى أنه قال : قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال : كان فى غمام فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء .

وروى الترمذى عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) إن أول شىء خلقه الله تعالى القلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الأحمر وطوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المشرق إلى المغرب .

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله(ﷺ) إن لله لوحاً أحد وجهيه من ياقوته حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور . قال ابن عباس (رضي الله عنه) خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر إليه نظر الهيبة فانشق وخط المداد . وقال ابن عباس ان القلم مشقوق ينبع منه المداد إلى يوم القيامة ، ثم قال الله ياقلم اكتب

فقال القلم يارب وما أكتب قال اكتب علمى فى خلقى بما هو كائن إلى يوم القيامة . وأخرج ابن ابى حاتم أن أول ما كتب القلم إن رحمتى سبقت غضبى . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إن القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاوة وهو قوله تعالى : وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين (سورة يس) أى فى اللوح المحفوظ .

خلق العرش والكرسى

قال الله تعالى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ (غافر ١٥) وقال : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون ١١٦) ، وقال تعالى ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (المؤمنون ٨٦) وقال: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (البروج ١٤، ١٥) وقال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه ٥) وقال ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الرعد ٢) وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر ٧) .

وفى الدعـاء المروى فى الصـحـيح فى دعاء الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم» لا إله إلا الله رب العرش الكريم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرازق حدثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد حدثنى سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن عباس بن عبدالمطلب قال : كنا جلوساً مع رسول الله (ﷺ) بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله (ﷺ) : أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن . قال : قلنا والمزن قال : والعنان . قال : فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والارض قال قلنا الله ورسوله أعلم . قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض . ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم شىء . هذا لفظ

انظر بدائع الزهور والبداية والنهاية ج ١ ص ٥ وما بعدها لابن كثير .

الإمام أحمد . ورواه أبو داود وابن ماجة والترمذى من حديث سماك باسناده نحوه . وقال الترمذى هذا حديث حسن . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه ولفظ أبى داود . وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ، قالوا لا ندرى . قال : «بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنين أو ثلاثة وسبعون سنة . والباقى نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عبدالأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار . وأحمد بن سعيد الرباطى قالوا حدثنا وهب بن جرير . قال أحمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه . قال حدثنا أبى قال : سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عقبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله (ﷺ) اعرابى فقال يارسول الله جهدت الأنفس وجاعت العيال . ونهكت الأموال وهلكت الأنعام . فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله (ﷺ) وربك إنه لايستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله إن عرشه على سمواته لهكذا . وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب . قال ابن بشار فى حديثه : إن الله فوق

عرشه وعرشه فوق سمواته وساق الحديث . وقال عبدالأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عقبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده ، قال أبو داود الحديث بإسناد أحمد بن سعيد وهو صحيح. وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلى بن المونيى ورواه جماعة منهم عن ابن اسحاق كما قال أحمد أيضا ، وكان سماع عبدالأعلى وابن المثنى وابن بشار في نسخه واحدة . تفرد بإخراجها أبو داود.

وثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : «إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن وقد جاء فى بعض الآثار أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه وما ذاك إلا لقربهم منه . وفى الصحيح أن رسول الله (ﷺ) قال : لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . وذكر الحافظ بن الحافظ محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش عن بعض السلف أن العرش مخلوق من ياقوته حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج

٤) فبعد ما بين العرش الى الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة واتساعه خمسون ألف سنة .

وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير . وهذا ليس بجيد لأنه ثبت فى الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة . والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل وأيضا فإنه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد بينه وبين الكرسى ليس هو نسبة فلك إلى فلك ، وأيضا فإن العرش فى اللغة عبارة عن السرير الذى للملك كما قال تعالى : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل ٢٣) وليس هو فلكا ولا تفهم منه العرب ذلك. والقرآن إنما أنزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (غافر ٧) وهم ثمانية كما ورد فى حديث الأوعال . وفق ظهورهم العرش . قال تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (الحاقة ١٧) .

قال أبو داود حدثنا أحمد بن حفص بن عبدالله حدثنى أبى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أن النبى (ﷺ) قال : أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام .

الكرسى

روى الحاكم عن ابن عباس فى مستدركه . وقال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثورى عن عمار الدهنى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الكرسى موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل .

وروى ابن جرير عن أبى موسى الأشعرى والضحاك بن مزاحم واسماعيل بن عبدالرحمن السدى الكبير ومسلم البطين وقال السدى عن أبي مالك «الكرسى تحت العرش» وقال السدى السموات والأرض فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش وروى ابن حرير وابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن

عباس انه قال : لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهم إلى بعض ما كان فى سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة (الأرض الوعرة) وقال ابن جرير حدثنى يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثنى ابى قال قال رسول الله(ﷺ) : ما السموات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله(ﷺ): يقول : ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض أول الحديث مرسل . وعن أبى ذر منقطع . وقد روى عنهم طريق أخرى موصولاً فقال الحافظ أبوبكر بن مردوية فى تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبرانى أنبأنا عبدالله ابن وهيب المغربى أنبأنا محمد بن أبى سرى العسقلانى أنبأنا محمد بن عبدالله التميمى عن القاسم بن محمد الثقفى عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى أنه سأل رسول الله (ﷺ) عن الكرسى فقال : والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة : وقال ابن جرير فى تاريخه حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان

عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء على أى شىء كان الماء قال على متن الريح قال والسموات والأرضون وكل ما فيهن من شىء تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل فيما قيل الكرسى .

وروى عن وهب بن منبه نحوه ، وفسر وهب الهيكل فقال شىء من أطراف السموات يُحدقِ (يُحيط) بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط .

الشرح (للمحقق) :

قوله : على شرط الشيخين أى أن رواة الحديث من رجال البخارى ومسلم . وقوله ولم يخرجاه أى لم يروه البخارى ولا مسلم .

وقوله مرسل أى سقط منه الصحابى ومنقطع سقط منه الصحابى والتابعى والمرسل والمنقطع من درجات الضعيف قوله وله طرق أخرى : تعدد الطرق يقوى الحديث ومعناه تعدد سلاسل السند عن الصحابى راوى الحديث .

الحـــديث الموقــوف : هـو الحـــديث الذى يصل بسنده إلى صحابى .

الحديث المرفوع : أى هو المرفوع إلى النبى (ﷺ) أى وصل بسنده إلى النبى (ﷺ) .

والحديث الموقوف له حكم الرفع أى ينسب إلى النبى (ﷺ) بشروط .

١-أن يكون الحديث مما لامجال فيه للرأى كالحديث عن الأمور الغيبية .

٢-أن يكون راوى الحديث من علماء الصحابة .

٣- أن يكون راوى الحديث غير مكثر من رواية الإسرائيليات (أى الصحابى) .

وهنا يكون الصحابى قد سمعه من الرسول (ﷺ) ورواه بالمعنى أى بلفظه هو أما الحديث الموقوف الذى لم يتفق فيه شروط الرفع فيكون الصحابى قد قال من رأيه أو فهمه أو من الاسرائيليات وقد يكون الحديث الموقوف مروى عن فعل الصحابى .

والموقـوف فى *اللغـة* اسم مـفـعـول من الوقف: أى المنسـوب والمحـبـوس واصطلاحـاً : هو المروى عن الصـحـابة قـولاً لهم أو فعـلاً أو نحـوه متصـلاً كان أو مـتقطعاً ويسـتعـمل فى غيـرهم كالتابعين مثلاً فيقال : وقفه فلان على الزهرى ونحوه .

وهو أنواع : الموقـوف القـولى : ومـثـاله : قـول على بن أبى طالب (رضي الله عنه) حـدثوا الناس بما يعـرفون أتحـبون أن يكذب الله ورسوله .

الموقـوف الفـعلى : ومـثال : قـول البـخارى : وأمَّ ابن عبـاس (رضي الله عنه) وهو متجه .

الموقوف التقريرى : ومثاله : قول بعض التابعين مثلاً : فعلت كذا أمام أحد الصحابة ، ولم ينكر علىَّ» .



قال الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام ١) . وقال تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (هود ٧) فى غير آية من القرآن وقد اختلف المفسرون فى مقدار هذه الستة الأيام على قولين . فالجمهور يرى أنها كأيامنا هذه . وعن أبن عباس، ومجاهد والضحاك وكعب الأحبار : إن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهن ابن جرير ، وان أبى حاتم . وأختار هذا القول الامام أحمد بن حنبل فى كتابه الذى رد فيه على الجهمية، وابن جرير وطائفة من المتأخرين . وروى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ، وغيره أن أسماء الأيام الستة ، أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت . وحكى ابن جرير فى أول الأيام الثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال : يقول أهل التوراة ابتدأ الله الخلق يوم الأحد، ويقول أهل الإنجيل : ابتدأ الله الخلق يوم الأثنين . ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله (ﷺ) ابتدأ الخلق يوم السبت . وهذا القول الذى حكاه ابن اسحاق عن المسلمين مال اليه طائفة من الفقهاء

الشافعية ، وغيرهم . وكان أخر خلق السموات والأرض يوم الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم فى الإسبوع وهو اليوم الذى أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٩) . كما قال تعالى : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت ٩ – ١٢) فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء ، لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر ٦٤) وقال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

وبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ النبأ ٦ -١٢) . وقـال : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٠) أي فـصلنا مـا بين السـمـاء والأرض حـتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون ، والأنهار وانتعش الحيوان . ثم قال : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء ٣٢) أى عـمـا خلق فيـهـا من الكواكب الثوابت ، والسيـارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات ، ومـا فى ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف ١٠٥- ١٠٦) .فأمـا قوله تعـالى : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ (النازعات ٢٧- ٣٣) فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض . فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية

الكريمة فـإن مـقـتـضى هذه الآية وهى الأرض وإخـراج الماء والمرعى فيها بالفعل بعد خلق السماء. وقد كان ذلك مقدراً فيها كما قال تعالى : ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ (فصلت ١٠) أى هيئا أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلى والعلوى وهى الأرض فأخرج منها ما كان مودعاً فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ، ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر الوحى بإخراج الماء والمرعى فيها وإرساء الجبال فقال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعات ٣٠) وقوله : ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات ٣٢) أى قررها فى أماكنها التى وضعها فيها وثبتها وأكبرها وأخبرها وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات ٤٧- ٤٩) بأيد أى بقوة . وأنا لموسعون . وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التى تحتها فهى أوسع منها . ولهذا كان الكرسى أعلى من السموات . وهو أوسع منهن كلهن. والعرش أعظم من ذلك كله بكثير . وقوله بعد هذا (والأرض فرشناها) أى بسطناها وجعلناها مداً أى قارة ساكنة غير

مـضطربة ولا مـائدة بكم ولهـذا قـال (فنعم الماهـدون ، والواو لا تقتضى الترتيب فى الوقوع . وإنما تقتضى الاخبار المطلق فى اللغة .

قلت (للمحـقق) : قوله مددناها ثبت فى علم الفلك أن الأرض كروية وهذا المد لا يتوافر إلا فى الشكل الهندسى الذى هو على صورة كرة فكلما سار الإنسان فى الأرض وحدها ممدودة بلا انقطاع وهذا لا يتـوافـر إلا فى الشكل الكروى لأن أى شكل هندسى أخـر لابد أن يكون له حـافـة سـواء كـان مـربعـاً أو مستطيلاً أو مثلثاً أو غيره من الأشكال .

وقوله عن السماء وأنا لموسعون وتفسير ابن كثير لها بأن كل سـمـاء أكـبـر من التى تحـتـهـا هذا حق وقد جـاء فى التـذكـرة للقرطبى أن سكان السماء الثانية – عشرة أمثال سكان السماء الأولى وسكان السمـاء الثالثة عشرة أضعـاف سكان السمـاء الثانية وهكذا . وقد ثبت فى العلم الحديث أن المجموعة الشمسية تقع ضمن مايعرف بمجرة درب التبانة وأن المجرة تحوى حوالى مليار مجموعة شمسية وأن الكون يحوى حوالى مليار مجرة وأن

التلسكوبات العملاقة قد رصدت نجوماً على مسافة سبع عشرة مليار سنة ضوئية مع العلم بأن الثانية الضوئية تساوى سير الضوء فى مسافة ٢٨٠ر٠٠٠ كليو متر أ.هـ .

قال البخارى حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال : دخلت على النبى (ﷺ) وعلقت ناقتى بالباب فأتاه ناس من بنى تميم فقال أقبلوا البشرى يابني تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم . قالوا قد قبلنا يارسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض . فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هى تقطع دونها السراب (مايرى نصف النهار كأنه ماء) فوالله لوددت أنى كنت تركتها هكذا رواه هاهنا وقد رواه فى كتاب المغازى وكتاب التوحيد وفى بعض الفاظه ثم خلق السموات والأرض . وهو لفظ النسائى أيضا . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنى ابن جريج

أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال : أخذ رسول (ﷺ) بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الأثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة أخر خَلق خُلق فى اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل ، وهكذا رواه مسلم عن جريح بن يونس وهارون بن عبدالله (النسائى عن هارون ويوسف بن سعيد ثلاثتهم عن حجاج بن محمد المصيصى الأعور عن ابن محمد بن الصباح عن أبى عبيدة الحداد عن الأخضر بن عجلان عن ابن جريح عن عطاء بن أبى رياح عن أبى هريرة أن رسول الله(ﷺ): أخذ بيدى فقال يا أبا هريرة إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش يوم السابع وخلق التربة يوم السبت .

روى إسماعيل بن عبدالرحمن السدى الكبير فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمزانى عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله(ﷺ) . هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات . قال إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء . ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين (الأحد والأثنين) وخلق الأرض على حوت وهو النون الذى قال الله تعالى : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم ١) والحوت فى الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح. وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت وخلق الله يوم الثلاثاء والجبال ومافيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وفتق السماء الشجر وكانت رتقا ففتقها سبع سموات فى يومين الخميس والجمعة . وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى فى كل سماء

أمرها . ثم قال خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره . ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً ويحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش . هذا الإسناد يذكر به السدى أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الإسرائيليات .

الشرح (المحقق) :

قلت : إن الأحاديث المتلقاه من الإسرائيليات إذا لم تكن موافقة تماماً لشرعنا فهو يحتمل الصدق والكذب .

وقد ثبت علمياً أن الأرض شبيهة بالكرة منبعجة من أحد طرفيها تدور حول نفسها كل أربع وعشرين ساعة مرة وتدور فى الوقت نفسه حول الشمس كل ١/٤ ٣٦٥ يوم دورة وهى تدور فى سرعة هائلة .

أما عن الجبال قال تعالى والقينا فيها رواسى وقال والجبال أرساها . فقد ثبت علمياً أن الجبال تحفظ توازن الأرض فى دورانها وأنها تثبت القشرة الأرضية وأنها تثبت الغلاف الهوائى المحيط بالأرض فلا ينفلت ويهرب فى الفضاء لأن الجبال تزيد

من قوة الجاذبية الأرضية بما يسمح لها بالاحتفاظ بالغلاف الهوائى . كما أن الجبال مخازن للقوت يتكون الغرين من سقوط الأمطار عليها وتحوى الكثير من الحفريات والمعادن فهذه بعض فوائد الجبال التى ثبتت حقائقها بواسطة العلم الحديث فتبارك الله أحسن الخالقين ولله الحمد والمنة . أ.هـ من قولنا (المؤلف) .

الأرض سبع أرضين

قال تعالى :﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(الطلاق ١٢)

قال البخارى حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصمته أروى فى حق زعمت أنه انتقصه لها إلى مروان فقال سعيد(رضي الله عنه) : إنا انتقص من حقها شيئاً ؟ أشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن وأبوسعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبدالله ابن لهيعة حدثنا عبدالله ابن أبى جعفر عن أبى عبدالرحمن عن ابن مسعود قال : قلت يارسول الله أى الظلم أعظم قال : ذراع من الأرض ينتقصه المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها أحد إلا طوقها يوم القيامة إلى مقر الأرض ، ولا يعلم مقرها إلا الذى خلقها ، تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عفان حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين تفرد به . من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . والأحاديث فى هذا الأمر شبه متواترة فى اثبات سبع أراضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى، والتى تحتها فى وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهى الأمر الى السابعة وهى صماء لا جوف لها ، وفى وسطها المركز وهى نقطة مقدرة متوهمة . وهو محط الأثقال اليه ينتهى ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع . واختلفوا هل هن متراكمات بلا تفاصل أو بين كل واحدة والتى تليها خلاء .

والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى «الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن» الآية .

وذكر أصحاب الهيئة أعداد جبال الأرض وسائر بقاعها شرقاً وغرباً . وذكروا أطوالها وبعد مقدارها . قال تعالى : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر ٢٧) قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرائق وقال عكرمة وغيره الغرابيب الجبال الطوال السود . وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الجودى على التعيين وهو جبل عظيم شرقى جزيرة ابن عمر إلى جانب دجله عند الموصل امتداده من الجنوب الى الشمال مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو أخضر لأن فيه شجراً من البلوط والى جانبه قرية يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذى نجوا فى السفينة مع نوح عليه السلام .

المجرة وقوس قزح

قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا على بن عبدالعزيز حدثنا عارم أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب إلى معاوية وقال إن كان بقى فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما أسألهم عنه . قال فكتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن بقعة لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة . قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال إن هذا الشيء ما كنت آبة له أن أسأل عنه إلى يومي هذا ومن لهذا؟ قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس فكتب اليه أن القوس أمان لاهل الأرض من الغرق والمجرة باب السماء الذى تنشق منه الأرض . وأما البقعة التى لم تصبها الشمس الا ساعة من النهار فالبحر الذى أفرج عن بنى إسرائيل وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس (رضي الله عنه) .

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد ١٢-١٣) . وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٦٤) .

وروى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بنى غفار قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إن الله ينشىء السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك .

وروى موسى بن عبيدة بن سعد بن إبراهيم أنه قال إن نطقه الرعد وضحكه البرق . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام عن عبيد الله الرازى عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه إنسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فإذا مصع بذنبه فذاك البرق .

قوله مصع بذنبه أى حرك ذيله وضرب به .

وقد روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى والبخارى فى كتاب الادب المفرد والحاكم فى مستدركه من حديث الحجاج بن أرطأة حدثنى ابن مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله (ﷺ) إذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لاتقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

وروى أبى جرير من حديث ليث عن رجل عن أبى هريرة رفعه كان اذا سمع الرعد قال : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وعن على أنه كان يقول : سبحان من سبحت له ، وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاووس وغيرهم . وروى مالك عن عبدالله ابن عمرانه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة عن خيفته ويقول : إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : ربكم لو أن عبيدى أطاعونى لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لايصيب ذاكراً .

الشرح (للمحقق) :

قلت : يقول العلم الحديث أن الرعد يكون بسبب اصطكاك السحاب وان البرق عبارة عن شرارة كهربائية تنتج من اصطكاك السحاب وقد تم فى العصر الحديث صنع ما يعرف بمانعة الصواعق وهى جهاز يقطع اتصال الدائرة الكهربائية التى تحدث من البرق . أقول إن هذا التفسير العلمى لظاهرة

الرعد والبرق لا يمنع أن الرعد ملك أو أن البرق ملك . ومثال ذلك تفسير العلماء المعاصرين لظاهرة الزلازل بأنها شرخ فى القشرة الأرضية وهذا التفسير لا يمنع من أن الزلازل والأعاصير والبراكين والصواعق غضب من الله وإنذار لأهل الأرض فقد ثبت أنه حدثت زلزلة فى عهد عمر بن الخطاب فأنذر قومه إن عادت الزلزلة أن يخرج من بين أظهرهم وحثهم على تقوى الله سبحانه وتعالى بل إن ظاهر الكسوف للشمس والخسوف للقمر وإن كان له تفسير علمى عند علماء الفلك بأن الكسوف تقابل الشمس مع الأرض على خط واحد وأن الخسوف هو مرور القمر بمحازاة الأرض وأن الأرض تحجب شيئا من جرم القمر ونوره فإن الرسول (ﷺ) كان يخاف من تلك الظواهر ويدعو للصلاة جامعة وسَنَّ للمسلمين صلاة الكسوف والخسوف يدعو فيها دعاء طويلاً حتى تنتهى الظاهرة .



الفهرست

دار البيان للطباعة
تليفون وفاكس : ٢٩٦٧١٨٨